دار النيل والفرات للنشر والتوزيع
الكتاب الفائز بالمركز الأول
فى مسابقة شاعر النيل والفرات
الدورة الأولى - ديسمبر 2017
فرع القصة والرواية

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع
أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017

عبد المنعم شرف

حميسة

قصص قصيرة

الطبعة الأولى 2017

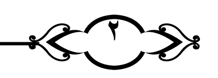
بطاقة الكتاب

عنوان المؤَلَّف : حـمـيـسـة
المؤلِّف : عبد المنعم شرف
التصنيف : قصص قصيرة
رقم الإيداع : 23908 -2017
عدد الصفحات : 94 صفحة
رقم الإصدار الداخلى : 24
تاريخ الإصدار الداخلى : 12-2017 طبعة أولى
الكتاب الفائز بالمركز الأول مكرر فى مسابقة شاعر النيل والفرات ولقب ودرع شاعر النيل والفرات – الدورة الأولى - ديسمبر 2017 فرع القصة والرواية

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

سجل تجارى : 58365
بطاقة ضريبية : 35-01-572-00031-5-165
رقم التسجيل : 202-662-544 2017-7
E-mail: alnile waalforat@yahoo.com
twitter: النيل والفرات
youtube: alnile waalforat@yahoo.com
facebook: alnile wa alforat
هاتف : 01202541192 - 01116202218 - 01011256943
الشرقية - العاشر من رمضان - مجاورة ١٣ - عقار ٣٠٤ - الدور الثانى - أمام سنتر ١٣

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع
ALNILE WAALFORAT
أسسها الشاعر ناجي عبد المنعم



الإهــداء

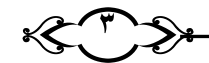
* إلى كل الأرواح الطيبة البريئة .. أحبكم

* إلى الروح التي تنير طريقي (أمي)

* إلى الأديبة / حسنات محمد جبريل

كل الشكر والتقدير والاحترام

عبد المنعم شرف



(١)

أجمل شئ في الدنيا

إنك تعمل حاجة

إنت حاببها

حتى لو كات

نفس الحاجة

كل الناس

كارهاها

من قصيدة ..إكتب إسمك بالمقلوب ..

من الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر .. ناجي عبد المنعم

(٢)

لكنه بعد حين من الزمن رأى الذين كانوا لا يؤمنون بفكرته شيئا غريبا ... شيئا جعلهم يفكرون من جديد

من قصة .. الإنسان الطيب ..

ضمن مجموعة قصصية بعنوان .. الدموع الخرساء ..

محمد عبد الحليم عبد الله .

(٣)

أما ما يتوجب على عمله ، فسهل جدا ، و يكمن في أن أنتهج أسلوبي الخاص . و أكتب رواية إبنة قلمي

من رواية .. الثور ..

للروائي الصيني مويان الحائز على جائزة نوبل في الآداب ٢٠١٢

ترجم الرواية عن الصينية د .. محسن فرجاني

كيس قماش لإبراهيم

إنفرجت شفتا إبراهيم بضحكة بلهاء ، حبلى بالأمل . تملكته الشجاعة بعد رؤيته لوجه أختي سعاد . مد إبراهيم يده حابكا طاقيته المتآكلة حوافها . ثم وضع يده في فتحة جلبابه مخرجا كيسا من القماش ، و بحماس زائد أخذ يحرر الكيس من ذاك الحبل الخانق على رقبته ، مسح إبراهيم الأرض بيده قبل أن يفرغ محتويات الكيس ، ثم التفت إلى أبي موجها له الكلام : صلي على النبي يا واد يا محمد ، نطقنا جميعا : عليه الصلاة و السلام ، و هنا تغيرت ملامح إبراهيم ، ونظر الينا بغضب . حد طلب منكم تصلوا على النبي يا بهايم . لم أضحك مثلما ضحك الأخرون . إذ لم أدرك وقتها مغزى هذا التصرف الغريب . و تلك الكلمات التي رد بها إبراهيم علينا ، لكن أبي بادر إبراهيم و هو يشير إلى الكيس القماش ((حوشت كام يا إبراهيم لحد دلوقت)) على الفور أفرغ إبراهيم الكيس عن آخره ، و أخذ ينفضه جيدا خشية أن تكون بعض القروش عالقة بين جنباته ، بسم الله الرحمن الرحيم صاغ ، اتنين ، تلاتة ، أربعة ، خمسة ، يبقى شلن ، وكمان شلن يبقى بريزة ، و كمان بريزة يبقى ....

وهنا تلعثم إبراهيم و لم يستطع أن يحدد كم من النقود معه . تملكت الحيرة من إبراهيم . لكنني بادرته : يبقى كدا ريال يا عم إبراهيم .. إنت شاطر يا واد يا يوسف ، و أخذ إبراهيم يكيل لي الدعوات ، سمعته أمي و هو يدعو لي ، فوضعت صينية الشاي أمامنا و مدت يدها في صدرها (خد يا واد يا إبراهيم شلن بحاله اهو بس إدع ليوسف) ناجح ورابح وفالح ، و هنا مد أبي يده ، و أخرج بريزة و قبل أن يعطيها لإبراهيم طلب منه طلبا . أخذ إبراهيم البريزة

لكنه فعل عكس ما طلبه أبي ، إذ أخذ يدعي لأمي بطول العمر و أن تظل جالسة على قلب أبي إلى أبد الأبدين ، توعد أبي إبراهيم بأنه لن يزوجه أختي سعاد حتى يستطيع عد النقود ، وعليه أن يخيط كيس قماش كبير ، و جاء يوم زفت فيه أختي سعاد على طبيب مثلها و سافرا خارج البلاد . و جاء يوم آخر صنع فيه أبي كيسا من القماش لإبراهيم ليس لوضع النقود و لكن لوضع جثمان إبراهيم الذي كان كفرع قطع من شجرة .

جلباب أبيض

بالتأكيد لم تكن هذه المرة هي المرة الأولى التي أبات فيها خارج الدار ، إنهم ينامون مع أهل الكهف ، لاأحد منهم يسمع دقات قلبي و هي ترتجف من ظلمة الحارة الضيقة ، لا احد منهم يستجيب لصفعات يدي على سقاطة الباب الخشبي الضخم . أبي - أمي : هل هنت عليكما إلى هذا الحد ؟! إخوتي أخواتي . هل بعتموني بثمن بخس ؟! حتى أنت يا جدتي . طاوعك قلبك و غافلك النوم و لم تشعري بغيابي ، لله الأمر ! ليس لي غير بيت الله . و الله و الله سأشتكيكم لربي ، يا رب : أنا هنا أجلس على سجادة الإمام ، هل حددت مكاني ؟ نعم أنا هنا ، عندى شكوى .. أنا لن أقول لك عليها ، فأنت تعرفها جيدا ، وكثيرا ما شكوت إليك (و إيه هي شكوتك يا أهبل يابن الأهبل) صوت ضحكات عم حمد تقترب من أذني . يربت عم حمد على كتفي قائلا : (يعني عايزهم يفتحو لك الباب و أنام أنا لوحدي في المسجد) كنت قد أعتدت على عم حمد فكثيرا ما بات معي في المسجد ، لم يعد أحد يهتم بحاله مثلي . يستقبل عم حمد القبلة و ينوي ، و بصوت عال . نويت أصلي ما تيسر . ركعة و الثانية و في الثالثة يسجد و لا يقوم ، ثوان قليلة ، أسمع بعدها صوت شخيره يتردد مع الصدى . نوم هاديء ياعم حمد و أحلام سعيدة ، لا تنس أن تدعو لعم خاطر عامل المسجد ، فمنذ أن اعتدنا النوم في المسجد و هو يترك لنا الباب مفتوحا . ساعة المسجد تدق . إحدى عشر دقة ، أهز رأسي للساعة أطمئنها أنني يقظ ، ولن يستطيع أحد خداعي . أقفز فوق درجات سلم المئذنة . لابد أن أعلن عن موعد آذن الفجر (فجر اليقظة ، فجر الترابط ، فجر المواجهة) أصل إلى أعلى نقطة في المئذنة . أوجه نظري صوب دارنا التي تلاصق الكنيسة " يابا . يامه

. يا محمد . يا مينا . يا فاطمة . يا كريستين " إصحو فوقوا الله أكبر . الله محبة ، اللصوص سرقوا المسجد ،وحرقوا الكنيسة ، الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم ، الله أكبر . الله أكبر . أخيرا إستجابوا لنداء الحق ، تحلق الجميع حول المسجد ، يطالبونني بالنزول ، الأطفال يصفقون و يرقصون ، الأيادي الغليظة تتقدم نحوي تخفي وراء ظهرها جلبابا أبيض .

شهادة

لم أستطع أن أمنع دقات قلبي من سرعة الدق ، أو حتى تبطئتها قليلا ، إذ إنتابني شعورا غريبا ، عندما سمعت اسمي كاملا ، عمر مصطفى عز العرب . نطق بها الذي يرتدي الزي العسكري ، أفندم : نطقتها بصوت جهوري . سلاحك دفاع جوي يا عمر ، إدخل إتصور للكارنيه ، على الفور إنصعت للأوامر " إنت شبه خالك الخالق الناطق يا واد يا عمر " كانت أمي تردد على مسامعي تلك الجملة دائما . لا أعرف لماذا تذكرت تلك الجملة الأن ؟! خالك مات شهيد في حرب أكتوبر يا عمر . " عيزاك تنتقم لي من اللي قتلوا خالك يا عمر ." يامه الحرب خلصت من زمان . الحرب يا اهبل مش رصاص و مدافع و دبابات ، الحرب إنك تكون راجل " حاضر يامه و الله شكلي كدا هاقضي مدة جيشي في السجن " برقت عين أمي بإبتسامة بينما أبت شفتاها الإفراج عن ضحكات رحلت مع من رحلوا . الأن تدوس أقدامي وحل الطريق ، زخات المطر تغسل أعمدة الإنارة ، يتسلل الي أذني صوت عبد الباسط يتلوا آي الذكر الحكيم منبعثا من راديو الخالة " أم هاشم " سرت رعشة خفيفة في بدني ، بعدما برقت عين قط اسود ، تسمرت في مكاني للحظات ، نبهتني خطوات أخي الكبير الذي أصر على مرافقتي لموقف العربات ، نظر أخي إلي متسائلا : خايف يا عمر ؟ " لا - بس مش عارف ليه قلبي إنقبض كدا مرة واحدة " أودع مع كل خطوة من خطواتي ذكريات طالما عشقتها قدماي . لم يخطر ببالي أبدا أنني سأغادرها في يوم من الأيام . لعب العيال ، جرن القمح و ألسنة اللهب التي التهمته من أجل أن نصنع كوبا من الشاي ، عمي هلال الطيب وطلبه الوحيد عندما أمر من أمامه " عايز عود قصب " خالتي سعدية و عشقها لسماع حكاياتي ونكاتي ،

جذع شجرة الكافور الذي يتوسط القرية ، و الذي طالما إحتكت مؤخرتي به لساعات طوال ، رمحي في الغيطان ، طلمبات المياه وإصراري على ملء أحواضها صباح و مساء كي تشرب منها البهائم ، قرون الفول ، عناقيد العنب و كيزان الذرة المشوية ، فرحتي بكسب الرهان عندما دخلت المقابر ليلا ، مغامرة دخولي برج الحمام المسكون بالجن والعفاريت ، حبي المكتوم و المقيد داخل غرف قلبي ، الأن يا عمر تودعك الدور الطينية ، وتلوح لك عروش القش ، وتسمح لك الجدران أن تمشي بجوارها ، متفاديا الوحل و برك المياه المتكومة وسط الحارات و الشوارع . تنز من فوق رأسي قطرات المطر فتختلط بدموع عيني . " خلي بالك من نفسك يا رضا " وصية أخي قبل أن تنطلق العربة . دقات الساعة تعلن الواحدة مساء ، تطأ قدماك أولى خطواتها على رصيف محطة القطار بطنطا ، عالم آخر ، عالم جديد عليك يا عمر ، ضوضاء . صوت القطارات . إذاعة المحطة تعلن عن قدوم قطار و مغادرة آخر ، باعة جائلون ، بضاعة و ألعاب لم ترها و لم تسمع عنها من ذي قبل ، وجوه منزوع منها الحياء ، كتل خرسانية و أبراج شاهقة تطل بوجهها القبيح ، أياد مختلفة الأحجام و الأشكال و الأوضاع ، ممتدة عن آخرها ، تسألك الإحسان ، أقران لك يجلسون في جماعات ، رجل و زوجه و إبنته يجلسون على المظلة الخرسانية ، ترتسم على ملامحهم الطيبة و الوقار ، أضع حقيبتي بجوار المظلة ، و أفترش الأرض ، أختلس النظر إلى البنت الجميلة التي تشبه حبيبتي كثيرا ، ترمقني ضفائرها التي ترقد بأمان على صدرها ، و تمهد عيناها الواسعتان طرق الشوق و الحب الوعرة داخل قلبي ، البلوزة التي تشبه لون السمن

البقري ، الجيب أسفل الركبة بقليل و التي تشبه رماد الأرض الطيبة ، الخصر المنحوت على يد صانع ماهر . لم يصرفن عن تلك اللوحة البديعة غير رؤيتي لذاك الجنس المخلط ، إنتفضت بعفوية فلاح غيور عندما رأيت علامات الغضب و الضيق تكسو ملامح البنت الجميلة . كانت نظراتي النارية كفيلة وحدها بأن تضع حدا لرخامة و عدم حياء ذاك المخنث ، دبت العفوية داخل الأجساد تتهيأ لقدوم القطار ، مذياع المحطة يعلن عن قدوم قطار القاهرة المتوجه إلى الإسكندرية ، محددا محطات التوقف . لفعت حقيبتي على كتفي و مددت يدي أحمل حقيبة البنت الجميلة ، أجلس في الكرسي المواجه لهما ، أحظي بآيات الشكر و التقدير و الدعاء ، الأب موظف شريف وكحال الشرفاء دائما في كل مكان فاسد ، مكتوب عليهم التعصب و النفي . الأم أرض طيبة لا ينضب خيرها أبدا ، القطار يقترب من محطة " سيدي جابر " تتأهب العائلة للنزول تملأ الأبتسامة الوجوه الطيبة ، وتمتليء العيون بالدموع و الأمنيات . عامان مرا بحلوهما و مرهما لم تتح لي الفرصة أن أنفذ وصية أمي ، لم أر عسكرى إسرائيلي واحد ، لم تعد إسرائيل هي العدو الأوحد ، كثرت الأعداء داخل البلاد و خارجها . لم تسعن الفرحة و أنا أحمل بين يدي شهادة إتمام الخدمة العسكرية و صك الرجولة ، حانت عودتي لأستقبل بصدري المفتوح نسمات الثورة ، شوقي وحنيني لوجه أمي ، صوت السواقي ، رمحي في الغيطان ، وجه عم هلال الطيب ، حبيبتي و حلم حياتي . أسابق بناظري أعمدة الإنارة ، أسابق حتى الريح نفسها . ودون سابق إنذار وجدت العربة تبطيء من سرعتها ، كثرت الهمهمات

وتبدلت ملامح الوجوه من الشوق و الحنين إلى الذعر و عدم الإرتياح ، تنحت العربة جانب الطريق . إقتادوني و زملائي أشخاص ملثمون مدججون بالسلاح ، كبلوا أياديا و أرجلنا و طرحونا أرضا على بطوننا ، صرخت بكل ما بعزمي ، أريد أن أموت واقفا ، أوقفني أحدهم و أدار وجهي إليهم ، لم يجفل جفني و لم ترمش عيني ، أمرتهم أن يحضروا شهادة خدمتي العسكرية ، وضعها أحدهم في فمي فقبضت عليها بأسناني . أطلت النظر في وجوههم الملثمة غير عابيء بزخات الرصاص الجبان . و كانت آخر كلمات سمعتها هي التهليل و التكبير و شهادة التوحيد .

الحبةالبيضاء

أخيرا ... تنبهت زوجة الخفير منصور لوجوده بجوارها ، لطالما وبخها على عدم إستجابتها للمساته ومداعبته لها ، كان منصور يلتمس لها العذر إذ كيف لجسدها الفيلي أن يشعر بتلك اللمسات الفئرانية . عدلت زوجة منصور من وضع رقدتها فأن خشب السرير أنينا موجعا ، تحرر منصور من ملابسه ، و عندما رأته زوجه على هذه الحال أشارت بيدها إلى حيث يقصد . بسم الله ، أعوذ بالله من ..... لم يكمل منصور الإستعاذة من الشيطان الرجيم ، إذ كان هناك من يطرق على باب الدار طرقات إستغاثة " هي ليلة سودة من أولها " قالها منصور و هو يرتدي جلبابه على اللحم ، أسرع ناحية الباب ، كانت البنت زينب زوجة الخفير رجب تبكي بحرقة " إنهضني يا أبو هدى ، رجب تعبان أوي ، و عمال ينازع " هي ليلة سودة " إسبقيني يا بت و أنا هاحصلك " كان رجب يتصبب عرقا و يتلوى يمنة و يسرى ، حاول الخفير منصور أن يتحدث معه و يعرف منه مم يشتكي ، فلم يستطع رجب أن يجاوبه ، كانت زينب قد أبلغت نصف رجال ونساء و أطفال القرية بمرض رجب . لم يفلح منصور في تشخيص حالة رجب ، وهنا تدخل شيخ الخفر شاخطا في رجب (إيه اللي بيوجعك يا واد يا رجب) رد رجب .. جمبي يا شيخ الخفر (جمبك اليمين ولا الشمال يا وله) (جمبي اللي ناحية زريبة العمدة) رقق شيخ الخفر من صوته مطمئننا رجب (إسمع يا واد يارجب التعب اللى عندك ده كان عندي وعلاجك على ايدي إن شاء الله) غاب شيخ الخفر قليلا ، ثم عاد ومعه ورقة سلوفان ، بها حبة بيضاء ، فك وثاقها ووضعها في فم رجب وهو يردد على مسامعه إسم دكتور كبير في المركز ، والذي أوصى بتلك الحبة البيضاء ، في

الصباح كان رجب واقفا أمام داره ، بكامل عافيته ، رافعا يده للسماء يدعو لشيخ الخفر بطول العمر ، ولدكتور المركز . وحتى الان لم يدرك رجب أن الحبة التي أعطاها له شيخ الخفر هي حبة فاصولياء .

الدفنة بعد المسلسل

لا تحده حدود ، ولا يستسلم للسدود ، البراح رغم إتساعه يبدو كخرم إبرة أمام عينه ، يرمح كطفل كبير ، كفكرة مجنونة ، يغيب مع المغيب ويبكر مع البكور . لم اره يمشي على قدميه إلا قليلا ، دائما يقفز كالبهلوان ، عندما رأى مهندس الجمعية الزراعية مدى تعلق عم الطيب بنا ، رق لحاله وسمح له ان ينضم لنا ، نقف جميعا امام خطوط القطن ، يأتي عم الطيب فيزيح الولد الذي بجواري ، يتمم علينا (الخولي) ويكتب أسماءنا في دفتر كبير ، شهر أو يزيد قليلا ننقي الدودة من أوراق القطن ، نقتسم اللقمة وشربة الماء ، نقفز في الترعة كجراء صغيرة ، يتوسطنا عم الطيب بجسده الضخم ، يحملني بين ذراعيه ، أضرب صفحة الماء بيدي و قدمي ، فتتناثر قطرات الماء و تدخل عينيه ، فلا يبال ولا يفلتني ، يقطع جرفتي الترعة ذهابا و إيابا ، دون كلل أو تبرم ، و عندما يرى الإجهاد قد تملكني ، يضعني على جرفة الترعة و يعوم على ظهره للجرفة الأخرى ، ثم يغطس كليا وافاجأ به أمامي مباشرة ، و قد إمتلأ وجهه بالطين . في نهاية الدورة المخصصة لتنقية الدودة ، نجوب أحواض القطن ، نضع العلامات و الرايات الإسترشادية ، كي يراها كابتن الطائرة المخصصة لرش القطن بالمبيد . نسمع أزيز الطائرة ، يقترب الكابتن بالطائرة حتى أننا نراه بأعيننا ، فنلوح له بأيادينا ، فيلوح لنا ، نجري بقدر إستطاعتنا ، نهلل ، نغني (يا سايق الطيارة ... إستنى خدنا معاك ... إدينا بس أماره ... من بدري بنستناك ...)

تأخذنا أقدامنا إلى بعيد ، نرجع بعدها مطأطيء الرؤوس ، يختفي عم الطيب كما يظهر ، ننادي عليه ، فيتردد نداؤنا مع صدى الغيطان ، يتلاشى عم الطيب مع نسمات الهواء، الغيطان مخيفة بعد الغروب ، أشجار الكافور العتيقة تهتز بغضب ، وكأنها تريد أن تنفرد بأسرار الليل وحدها ، نطلق العنان لأرجلنا الصغيرة ، بقع الضوء تتناثر في أنحاء القرية ، نقف عند أقرب بقعة ضوء ، نستعيد أنفاسنا ، ننظم دقات قلوبنا ، نفرج عن ضحكاتنا فتجلجل في السماء ، تضمنا الدور الطينية ضمة عاشق ، وفي غفلة من أمي و أبي و أخوتي ، أقسم منابي إلى نصفين أضيع نصفه في رغيف خبز و أدسه في سيالة جلبابي ، تظهر المذيعة الجميلة تعلن عن بدء المسلسل العربي ، يلفنا الصمت و السؤال يدور بأذهاننا ، من هو زعيم العصابة ، المسلسل يجذب أهل القرية جميعا ، ربما لأنه جزء من مسلسل حياتنا ، فلا أحد يعرف من يسرق بهائم القرية ، أتركهم غارقين في أحداث المسلسل ، أقصد عشة عم الطيب ، الراقدة بجوار المقابر ، تتملكني الرعشة و أسناني تصطك في بعضها ، بالكاد يخرج صوتي ، يخرج عم الطيب يطمئنني ويربت على كتفي (إنت بطل يا واد ياعبده مفيش حد في البلد كلها يستجري إنه يعدي بس من أدام المقابر) شهر كامل و القرية تتابع المسلسل ، شهر كامل و أنا أقسم منابي مع عم الطيب ، أعلنت المذيعة أن اليوم هو آخر حلقات المسلسل ، الكل ينتظر ، الكل متشوق لمعرفة زعيم العصابة ، قبل إذاعة المسلسل بعشر دقائق إنطلق ميكروفون المسجد معلنا عن مقتل عم الطيب والدفنة بعد المسلسل .

أنفاس ملتهبة

وحده محروس من يشق ضباب الحارة بأنفاسه المتبخرة ، يستقبل بصدره المفتوح تلك النسمات الشتوية ، تدغدغ شعر صدره النافر ، تسري رعشة خفيفة في جسده و عقله الصغير ، كانت يده مستميتة على اليد الخشبية للفأس التي ترقد في طمأنينة على كتفه ، طرق محروس بعض الأبواب الخشبية ، كي يحث أصحابها على الإستيقاظ ، فتارة يطلق نكتة على باب فلاح ، وأخرى يذكر موقف مضحك لآخر ، فيحظى مرة بالشكر و الدعاء ، و مرات عديدة بلعن سلسفيل جدوده ، سمى محروس بسم الله و أتفل في يده ، ثم أطلق لفأسه العنان تشج وجه الأرض ، ظل محروس منكبا على فأسه حتى سمع صوت خشخشة بين أعواد الذرة ، إستعاذ بالله ووهن صوته قليلا و هو يردد ، مين هناك ، لم يتلق ردا فكرر نداءه ، و بعد ثوان قليلة جاءه صوت أنثوي مغنج ، أنا يا واد يا محروس ، أنتي مين ؟ أنا زينب مرات المرحوم عطية . إقتربت زينب من محروس ، وهي تتقصع بين أعواد الذرة ، عندما رأها محروس أمامه مباشرة إسترد أنفاسه و جش صوته ، الله يخرب يتك يا زينب سيبتي ركبي ، بتعملي إيه يا بت بدري كده ، بنقي شوية حشيش للطيور ، يطير عقلك يابعيدة ، نظرت زينب لمحروس نظرات طويلة ، تتأمل صدره المشعر العريض و عضلاته البارزة ، صحيح يا ولاد الحلو ما يكملش ، ظلت انفاس زينب تصعد و تهبط وتزداد وتيرتها ، كلما أطالت النظر إلى محروس ، إقترب محروس من زينب ، يلفحه لهيب أنفاسها ، ويجذب أنتباهه صدرها الآخذ في الصعود و الهبوط ، إقترب محروس أكثر و أكثر ، ثم إنحنى يلملم الحشائش و يرفعها على رأسها ، رمته زينب بنظرة نارية و انفلتت عائدة إلى القرية .

حميسة

بعد أن ظهر التلفاز و الراديو ، أيقن فريق من أهل القرية أن حميسة ولي من أولياء الله ، ولم لا ، وقد تحققت نبوءته ، إذ كان يؤكد و يحلف بأغلظ الأيمان إنه سيجيء اليوم الذي يتكلم فيه الحديد ، و بالرغم من هذا ظل فريق آخر من أهل القرية يؤكد على أن حميسة مجنون رسمي ، بنى هذا الفريق رأيه معتمدا على تلك الحركة التي تصاحب حميسة ، عندما يضع كف يده اليمنى المضمومة أصابعها على أذنه فاردا فقط إصبع الإبهام ، متوهما الحديث تارة مع ضابط ، وتارة مع وزير ، وأخرى مع راقصة ، و الأغرب أنه ذات مرة تحدث مع السيد رئيس الجمهورية ، ضاربا له موعد كي يتحدث معه في أمور مشتركة ، لم نكن نهتم إذا ما كان حميسة مكشوفا عنه الحجاب أو مجذوبا ، كنت أنا و أقراني ننتظره كل صباح ، فبمجرد أن يعلن الراديو الحديد تمام الساعة السابعة صباحا ، نخرج من دورنا كجراء صغيرة تبحث عن اللهو ومناوشة المارة نقسم أنفسنا إلى فريقين ، فريق يحمل في حجر جلبابه كمية من التبن ، والفريق الآخر يحمل بعض القلل القديمة ، نقف في مواجهة دار حميسة حتى إذا ما خرج علينا نشتبك معه ، كانت تعليماتي و اضحة و صارمة ، لا أحد يضرب إلا بعد إشارتي ، فتح حميسة باب داره ساعلا بشدة ، ظهر أمامنا الفرن الطيني يتوسط الدار ، وبجانبه سلم بدرج طيني يفضي إلى سطح الدار المكونة من حجرة وحيدة ليس لها باب ، تقبع بجوار الفرن ، لم يتفاجأ حميسة لرؤيتنا ، فقد تكررت وقفاتنا كثيرة ولكن بصورة غير منتظمة ، الغريب فعلا أن نقف في مثل هذا اليوم بالتحديد ، فالجو ملبد بالغيوم ، والسماء منذ الفجر وهي تبعث بزخات المطر ، تراب الشارع تحول

إلى وحل ، و بالرغم عن هذا خرجنا ، وخرج حميسة مرتديا بدلة عسكري مرور ، على رأسه يرقد بريه ممزقة حوافه ، وتتدلى من رقبته صافرة مربوطة بأستك ، أطلق حميسة قذيفة من البلغم فأصابت الولد عطية فوقع مبطوطا على مؤخرته ، يحاول عطية الوقوف فلا تسعفه قدماه ، يزحف على مؤخرته مستعملا يديه كمجدافين ، أطلق حميسة صافرة إنتصاره ، لكن فريق التبن أمطره بقذائف تبنية متتالية ، عمت عيناه ، فوقع من طوله متخذا وضعية الجلوس للتشهد ، وعندئذ أطلق فريق القلل داناته المدوية ،فجاءت معظم القلل بجوار حميسة إلا واحدة أصابته في رأسه ، فخر ساجدا ، و أطال في سجوده حتى ظننا أنه فارق الحياة ثوان قليلة دبت الروح من جديد في جسد حميسسة ، و أخذ يمرغ جبهته في الطين . هرع الجميع من أمام حميسة ،بعدما إسترد عافيته ، و بعدها سمعوا بآذانهم حديثه المتوهم مع ضابط و لواءات، ووعيده لنا نحن وسنية وسماسم الراقصتين بأشد الوعيد . نظر حميسة حوله فلم يجد غيري ، لم يكن بمقدوري الهرب فأنا القائد و لابد أن أتحمل نتائج المعركة أخذ حميسة يبرطع ناحيتي ، حتى وقف أمامي مباشرة .رفع يده المفلطحة عاليا في الهواء ، أغمضت عيني ، و لم أتزحزح من مكاني شبرا واحدا ولم أرفع يدي حتى أحجب اليد المفلطحة عن وجهي ، لم أدر كم من الوقت مر علي و أنا مغمض و لكن إنتظرت وقتا ليس بالقليل ، و عندما طال إنتظاري ، أخذت أبربش بعيني حتى أستطلع ماذا حدث لحميسة ، وما منع يده أن تصعق خدي و ما منع قدمه أن تستبيح جسدي الضئيل وتدهسه دهسا ،" يا الله " ما هذا ؟ . كأن يد حميسة أصابها الشلل و تجمدت في الهواء . إنفطر حميسة بالبكاء

كطفل رضيع جائع ، فتشكلت ملامحه من جديد ، إذ أصبحت أكثر لخبطة من ذي قبل ، أنزل حميسة يده على كتفي رابتا عليه ، و بحنو أب يداعب طفله الوحيد ، سألني : أنت أبن مين ؟ عندئذ إرتعش جسدي ، و أحسست بضآلتي أمام هذا الملاك البريء ، تذكرت مقولة خطيب المسجد القوي هو من يعفو عند المقدرة ، و العاقل من يكظم غيظه عند الغضب ، أمسكت بكف عم حميسة ، قبلته ورفعت كفه عند جبيني كما أفعل مع لقمة خبز ملقاه في الطريق ، دهش عم حميسة عندما سمع إسم أبي و أمي ، تحدث عنهما بلغة العاقل معددا صفاتهما الطيبة ، ودون سابق إنذار تحول عم حميسة ورجع لحالته المعتادة مكررا حركته التي حيرت أهل القرية ، و متوهما الحديث مع ضباط ، و راقصات ، و متوعدا بعض أقاربه الإنتقام منهم جراء سلبهم أموال و أرض والده ، ظلت بداخلي أسئلة و إستفسارات كثيرة عن عم حميسة ، لم أتلق عليها إجابات وردود ، لكن الشيء المؤكد بداخلي الأن هو أنني ، أقف في إحدى إشارات المرور بميدان رمسيس أنظم سير العربات ، يرقد بين أصابعي الهاتف المحمول الذي تنبأ به عم حميسة قبل إختراعه ،أضاءت إشارت المرور باللون الأحمر فتسمرت العربات في كانها ، عبثت يدي بأزرار الهاتف . متوهما الحديث مع سيادة اللواء ، أخبره أن عم حميسة يبعث إليه بالسلام و يقول له أن الطريق آمن لمرور الموكب الرئاسي .

مشاهد من حياة فتح الله

١- دبيب

كدبيب النمل ينقلا خطواتهما فوق أوراق الشجر المتيبسة ، فلا يمنع هذا الدبيب أن تتكسر تلك الأوراق تحت قدميهما ، محدثة خروشة . يشعر بها فتح الله و هو جالس في عشته التي ترقد على أطراف القرية ، لم يعد يهتم فتح الله بتلك الخروشات ، فكثيرا ما خرج يستطلع الأمر ، فلا يجد غير قط ضال ، أو كلب أجرب هزيل يبحث عن بقايا طعام ، لكن هذه المرة كان الوضع مختلفا ، تحت ضوء الفجر الشحيح ، رأى فتح الله شبحي رجل و أمرأة يمارسا الحب و العشق و يصدر عنهما صوت آهات و أنات متقطعة للوهلة الأولى ظن فتح الله أنهما عفريتان ، أغمض عينيهو أخذ يستعيذ من الشيطان الرجيم ، لكنهما لم ينصرفا ، و ظلا على حالتهما ، دقق فتح الله النظر جيدا فميز ملامحهما و أختزنها في عقله

٢ – الشيخ عبد الخالق

فقط في مثل هذا الوقت من السنة يجلس فتح الله عريانا تماما أمام عشته ، و دائما ما يوبخه شيخ الخفر ، الشيخ عبد الخالق كلما رآه على هذه الهيئة . هذه المرة يشير إليه الشيخ عبد الخالق من فوق حمارته (إستر نفسك يا وله) فلا يعطيه فتح الله إهتماما ، و مما يزيد من حنق الشيخ عبد الخالق عندما يتمايل و يتطوح فتح الله يمنة و يسرة ، يغتاظ الشيخ عبد الخالق ، و يترجل من فوق حمارته ، خابطا فتح الله على مؤخرته بخيرزانة في يده ، مرددا (يدي الحلق

للى بلا ودان) يعوي فتح الله من أثر الخبطات ، يقفز فوق الأرض قفزات قرد مدرب مرددا (أمك يا عبخالق) يتصنع الشيخ عبد الخالق الجري وراء فتح الله و يتوعده (آه لو مسكتك يابن المهابيل ، هاسويك من الضرب) يخطو فتح الله خطوة و الثانية و في الثالثة يتغلب عليه الوجع ، ينزوي وراء جذع شجرة ، ينهنه من شدة الوجع يستند بظهره إلى جذع الشجرة ، دافنا رأسه بين فخديه ، ينفخ فيه نفخات سريعة متلاحقة و ملوحا بيده كي يجلب المزيد من الهواء يشعر فتح الله باليد الغليظة تربت على كتفه في محاولة لإسترضائه و مصالحته (حقك عليا يا واد يا فتح الله) الله يرحم أبوك . صمت فتح الله لحظات ، ظنا منه أن الشيخ عبد الخالق سيمدح والده ، لكن الشيخ عبد الخالق كرر جملته (الله يرحم أبوك كان أنجس من الكلب)

٣- العفريت

كان أمين لا يترك صلاة إلا و أداها في جماعة ، يحظي باحترام الجميع الكل يثني عليه و على أخلاقه ، يمشي دائما و نظره إلى الأرض كثيرا ما زار فتح الله في عشته ، يعطف عليه و يلبي له بعض من متطلباته ، زاد إهتمام أمين بفتح الله بعدما رآه فتح الله و هو يمارس الحب و العشق في ذاك المساء ، ومنذ ئذ أطلق فتح الله على أمين لقب العفريت .

٤ - المهمة

قبل أن يغادر شيخ الخفر الشيخ عبد الخالق نظر إلى فتح الله قائلا (كنت هاتخليني أنسى أنا جايلك في إيه يا بغل ، حضرة العمدة بيقولك متنساش بكرة من النجمة تعدي على محمد عبد العزيز و الواد محمد المغاوري و الواد محمد رجب يجوا و يجيبوا معاهم عيالهم علشان تقطعوا الزريبة بتاعة حضرة العمدة ويجيبوا معاهم كمان الحمير والفؤوس والمقاطف فاهم يا ... و لا بلاش للمقاطف تزعل)

٥ ــ الشيخ صالح

تسلل إلى مسامع فتح الله صوت الشيخ صالح و المحبب إلى قلبه و هو يرفع آذان العشاء ، الله أكبر الله أكبر يردد فتح الله الله أكبر منك يا عبد الخالق أنت و العمدة يشهد الشيخ صالح بأن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله يرفع فتح الله سبابته و نظره إلى السماء مناجيا ربه ، يارب بحق نبيك المصطفى (تشحطط إللي في بالي) حي على الصلاة و الفلاح على الفور يلبي فتح الله دعوة ربه ينتفض من جلسته ، يرتدي جلبابه على اللحم ، يدخل قدميه في بلغة تآكلت حوافها ورق نعلها ، بها ثقبان يخرج منهما الإصبعان الكبيران لقدمي فتح الله ، ينهي الشيخ صالح الآذان ، داعيا الله أن يؤتي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (ص) الوسيلة و الفضيلة و الدرجة العالية الرفيعة . يرفع فتح الله يديه إلى اما فوق رأسه ،مباعدا بينهما

. يؤمن على الدعاء ، يدع فتح الله للشيخ صالح بالعمر الطويل و راحة البال ، و دوام الصحة و الستر ، يدعك فتح اللهيديه بوجهه أكثر من مرة كي يلتصق الدعاء بها . يحبك فتح الله طاقيته على رأسه ، و قبل أن يغادر عشته ينظر في لوح الزجاج المشروخ و المركون بإحدى زوايا العشة إلى الجلباب المرقع و البلغة القديمة و الطاقية المخرمة، نظرات عريس ليلة دخلته .

ملحوظة : - -

عذرا سيدي القاريئ نسيت أن أذكر لشخصك الكريم ان فردتي البلغة شمال .

٦ - العفريتة

هدى البنت الوحيدة بين أربعة أشقاء دللها والداها أكثر من اللازم . تنظر إلى ما في يد غيرها ، تتقصع في مشيتها و كلامها كلما قابلت فتح الله تنظر إليه و هي ترفع حاجبا و تنزل الآخر " تتجوزني يا واد يا فتح الله يا أهبل " و لكن فتح الله يغيظها برده عليها (يا وحشة يا قليلة الأدب) .

٨ - الزفة

تنتشر أشجار الكافور في الطريق المؤدية إلى مسجد القرية ، ينظر فتح اله عن يمنه تارة ويساره تارة أخرى ، و إلى الخلف تاراتكثيرة ، كانه ينتظر حدث جلل كظهور ورد النيل العملاق ، أو أم الشعور ، أو ظهور خنفيسة ذات الوجه القبيح ، و شخصيات كثيرة تراوده ، و خيال فتح الله و يمتلىء بها عقله ، بسبب الحكايات التي يرددها على مسامعه أهل القرية في ليالي الصيف - لم يفطن فتح الله للحظة التي أعدها هؤلاء العيال الملاعين و الذي يطلق عليهم قرود الليل فمن اللحظة التي لم ينظر إليها قفزوا عليه من فوق الشجر واضعين أياديهم فوق أفواههم ، مقلدين أصوات الهنود الحمر لم يفزع فتح الله من رؤيتهم أو من أصواتهم و لكنه تعجب من مهارة هؤلاء القرود في تسلق الأشجار ، إنحنى فتح الله ليلتقط عصا أو طوبة يخيفهم بها ،و قبل ان يستقم جذعه شلجة احد الأطفال من الخلف ليسقط جلبابه على عينيه فلم يعد يرى شيئا ، بعدها تبدأ الزفة ، يقول أحد الأطفال ، العيل طالما طاطا تردد الأطفال ، طاطا و أخر زر البطاطا يرددوا طاطا ، ما ينفعش في ديله خياطة ، ياطة ، و في اللحظة التي ينجح فتح الله في إستعدال جلبابه مرة أخرى ، يطلق لساقيه العنان و من وراءه يردد الطفال ، يا واد يا فتح الله يا اهبل يا عبيط ياللي مناخيرك أد الغيط يا واد يا فتح الله يا ملظلظ ، ياللي امك أسمها ألمظ ، تنتهي الزفة بالقرب من المسجد . بعدها ينهر القادم إلى الصلاة هؤلاء الأطفال القرود ، يقترب فتح الله من منقذه يميز ملامحه ، ينطق بصوت خفيض عفرييت يبتلع فتح الله نصف الكلمة

في بطنه و يدخل إلى الصلاة بدون وضوء أبو العز دسوقي وجابر . تجمع الثلاثة صفات مشتركة فهم قليلو الزمة و سيئو النوايا و صانعوا مقالب ، يبعث الأستاذ أبو العز المسؤل عن الجمعية الزراعية إلى دسوقي الجزار فيشفي له دسوقي أجزاء معينة من لحم الذبيحة و يبعث إلى جابر موزع التموين فيجلب له المزيد من شكائر السكر و كراتين الشاي كان فتح الله هو من يتولى جلب هذه الأشياء يجتمع الثلاثة على موائد الكبار و يجتمع الكبار معهم على موائدهم في مناسباتهم المختلفة ، لا يخلو حديثهم عن القيل و القال و عن هذا و هذا و يقهقون من المقالب التي صنعوها في فتح الله ، فذات مرة أرسلو فتح الله إلى قرية مجاورة كي يسال لهم عن بيض أرانب .

٩ - البلغة

يحرص فتح الله على أن يقف في الصفوف الخلفية مع الأطفال ، يناوش الطفل عن يمينه و يخرج لسانه لمن على يساره . لا يركع و لا يسجد يظل ثابتا في مكانه ، فور إنتهاء الإمام من الصلاة ، يهرول فتح الله إلى باب المسجد حتى يكون أول من يحظي بلبس بلغته ، وقف فتح الله على باب المسجد حائرا تزوغ نظراته إلى جميع الأحذية ، عندئذ يتقن فتح الله أن بلغته قد سرقت . أو أن أحدا من قرود الليل قد خبأها في مكان ما توسط فتح الله باب المسجد ،رافعا ذراعيه كي يحجب مرور المصلين إلى الخارج حاملا على عاتقه هما ما بعده هم ، و نبرة حادة ونظرات أحد وجه فتح الله سؤاله إلى جمع المصلين .
(البلغة فين يا ولاد البلغة ؟)

١٠- مرزوق الصرماتى

إنصرف المصلون ما عدا أمين ظل بجوار فتح الله يواسيه في مصابه ، إمتلأت عينا فتح الله بالدموع ، خرجت كلماته مشعة باتلحزن سرقوا بلغتي ياعفريت ، قصدي ياأستاذ أمين ، تجهم أمين في وجهه ثم خاطبه برقة مصطنعة ، ولا يهمك يافتح الله هاجيبلك بلغة أحسن منها ،سارا معا إلى دكان مرزوق الصرماتي الذي بادر فتح الله بالسؤال (فين بلغتك يا وله ؟) سرقوها ياعم " مزنوق" مزنوق إيه يا بغل ، ياواد مش كام مرة أقولك " مرزوق " تدخل أمين مهدئا مرزوق الصرماتي حقك على أنا ياعم مرزوق ، المهم خلصوني (عايزين إيه ؟)عايزين بلغة لفتح الله " دا مش عايز بلغة دا عايز مركبة " في تلك اللحظة كان فتح الله قد أدخل قدماه في شبشب بجوار باب الدكانو أخذ يبرطع و لم تفلح نداءات مرزوق الصرماتي و أمين في إسترجاعه مرة ثانية .

١١ – جلسة مزاج

تدور غابة " الجوزة " المغمسة بالحشيش بين أفواه أبو العز و جابر و دسوقي و الشيخ عبد الخالق تدور معها رأسهم يمدهم فتح الله بالمزيد من الحجار الزرقاء غير عابيء باعتراف أبو العز بأنه يأخذ قروضا بأسماء الفلاحين دون علمهم و جابر يبيع المواد التموينية في السوق السوداء و دسوقي يذبح البهائم الفطيس

بالنافقة ، و الشيخ عبد الخالق شيخ الخفر و تنصته على دور أهل القرية و معرغة أسرارهم .

١٢ – مشهد تمثيلى

في صباح مختلف تماما عن كل صباحات القرية تجمع أهل القرية جميعا بجوار عشة فتح الله يشاهدون بأعينهم هدى عشيقة أمين و هي تمثل كيف قتلته و قطعته إلى أشلاء و ذلك بعدما تنصل من وعده بالزواج منها . أخذ فتح الله يصفق بحرراة منتظرا مشاهد تمثيلية أخرى لأشخاص آخرين .

بائع الحلبسة

(إتجمعوا ياولاد ياطيبين)

نداء مختلف لبائع حلبسة مختلف بالفعل أراني مختلفا فلم أر في حياتي بائع حلبسة مثلي ، رابطة عنقي إنها أنيقة جدا ، بدلة الزفاف ما زالت على مقاسها نظرات حائرة ما بين المرآة و صورة الزفاف صافرة تشجيع و أعجاب ، سأضع بعض البرفان الذي تفضلينه ، لا ل لن أنسى أطمئني سامشط شعري قبل نزولي (أتجمعوا يا ولاد يا طيبين) بروفة أخرى ، بالمس إتفاقا مع صاحب ماكينة حلبسة ، تطوع مشكورا أن يدربني على النفخ في تلك الزمارة الطويلة ، أرهقته بتساؤلاتي و كان صبورا جدا ، أرهقني بتساؤلاته و لكني لم أجبه ، (أتجمعوا يا ولاد ياطيبين) عرضت عليه ندائي . نظر إلي طويلا نظراته صامتة غير محددة الملامح ، لكنه قال لي أني رجل طيب ، تماما كما كنت تقولين لي اليوم لم أستطع أن أذهب إليه ، لم أكن مستعدا بعد ، أريد أن أتقمص الدور الذي سألعبه ، سأقوم بعمل بروفات أمام المرآة ، أخشى نظرات الناس تعلمين كم أنا خجول ، لكن خانني طرف عيني في متابعة المؤخرة الرجراجة لجارتنا كثيرا ما شكوت إليك هذه المرة كانت نسيبة الرجرجة أكثر من المألوف ، أشعر أنها تتعمد إغاظتي لماذا لا تذهبين فلم أجن بعد ، أعلم أنه لا حول لك و لا قوة ، ولكن جدتي كانت تقول أن الأرواح تهيم في السماء ، و ترفرف حولنا و تشعر بما نحن عليه هناك أمر آخر القلم لم يعد يطاوعني فمنذ رجليك لم أستطع الإمساك به . أجلس معه ساعات طوال و لكنه لم يعد بخاطري و لم يطاوعني في كتابة رثاء لك . ربما هو غاضب منك فلم تثني عليه ولو مرة واحدة ، يبدو أنه

كان يسمع كلامك و أنت بتسخفي من أشعاره و قصصه الذي كتبها بدم قلبه من وجهة نظري أعشق أن جارتنا قد أغرته و أبرمت معه إتفاقا كي يغيظني هو الآخر ، وأن كل شيء من حولي يتعمد إغاظتي . أعدك ألا أقف مكتوف الأيدي بعد الأن ، سأوفي بالعهد الذي قطعته على نفسي . سأوزع أكياس الحلبسة على الأطفال دون مقابل ، رحمة ونور على روحك و على أرواح الطيبين ، سأقف أمام المدارس و المستشفيات والملاجيء و الجوامع و الكنائس أنتظر بفارغ الصبر طلوع النهار لن أخشى نظرات الناس ، إنهم يتكلمون دائما في الرضا و السخط ، لن أزاحم باعة الحلبسة الاخرين في رزقهم ، سأوزع أكياس الحلبسة علي الأطفال اليتامى و الفقراء لقد أعطيت صاحب ماكينة الحلبسة عربونا مقابل أن يحتفظ لي بكيس يوميا ، أنا الأن مستعد تماما هل هذا وقتك الأن ؟ لا أنا لا أتحدث إليك أنه جرس الباب . يعزف موسيقانا التي كنا نعشقها . سأرى من الباب . لا تقلقي ، سأعود سريعا ..... إنها جارتنا جاءت كي تغيظني أكثر و أكثر معذرة سأقلب صورتك . هي تخشى نظراتك النارية وشخصيتك المتسلطة ولا تريدك أن تريها وهي تتعمد اغاظتى ، تعلمين كم هى طيبة وخجولة مثلى تماما .

أنا أعرفك

من بعيد اراى تلك الابتسامة ، التى تملأ وجهه ، أحاول بقدر المستطاع ان اتصنع الابتسامة ، فلا تطاوعنى قسمات وجهى ، وكيف يتثنى لى ان ابتسم ، والطريق مزدحمة على اخرها ، وكأن الهواء يحمل بين ذراته فيروس الكآبه والتجهم ، وما زاد الطين بلة ، هو افتراش الباعة لرصيف الشارع ، وبالرغم عن ذلك ارى هذا المبتسم بوضوح ، ما سر تلك الابتسامة ؟ ربما لا يقصدنى . لكنه يلوح بيده ، انه يلوح بشوق ولهفة كما العائد من غربه مريرة . (انتم جايين تزاحمونا فى رزقنا) تنبهت على هذا الصوت الجهور لبائع يخاطب شاب سورى ، يحمل على ظهره حقيبة بها جوارب ولعب اطفال ، حز فى نفسه رد الشاب على البائع ، عندما دعا الله ان يحفظ مصر وجيشها ، أمنت على دعا الشاب وطيبت خاطره ، رمانى البائع بنظرة عتاب ، وربما اتهمنى بالخيانة فى قرارة نفسه ، لكنه خاطبى بشئ من الهدوء (الحال واقف يا استاذ ، والزبون عزيز انا عارف ان محدش بياخد رزق حد بس من ساعة السوريين ما جم بلدنا والرزق قل) انها الاذدواجية قلتها فى قرارة نفسى وانا ساهم ومثبت نظراتى على البائع انه يعلم ان الرزق بيد الله فكيف اذا ينسى صاحب العقل . لتوها ارتسمت على ملامح البائع علامات الرضا وافرج عن ابتسامة ترحيب فور وقوف عائلة سورية تبتاع منه ، لم تفارق الإبتسامة وجهه ، وظل لسانه يردد (انتم منورين مصر بلدكم التانيه) لم يخرجنى من تلك الحالة غير خبطة حانية على كتفي . الشخص المبتسم اصبح قبالتى تماما ، تأملت ملامحه ، انا اعرفه وهو ايضا يبدو عليه انه يعرفنى تمام المعرفه ، اشعر بدفء يديه وحرارة قلبه ، انه صديقى صاحب الخلق والحضارة ، اكد انه لن

يتركنى ، وانه ظل يبحث عنى فى كل مكان ، ولابد ان نسترجع تاريخناوذكريتنا .

اضحك يا ابن الكئيبة ، قالها وهو يخبطنى برفق ، انه ابن بلدى صاحب الابستامة العذبة والطيبة والكرم ، ضحكت كما لم اضحك من قبل فى حياتى ، بالفعل لقد عرفته وتذكرته ، وبحماس زاد وثقة قلت : ازيك يا صابر ، فقدت ضحكته بريقها ، وتجهم قليلا ثم نطق بتلعثم : انا مش صابر ، انفلت من بين يدى وهم بمغادرتى ، تشبثت به جيدا وانا اردد بجنون انا اعرفك انا اتذكرك انا .....

القوادة

يافتاح يا عليم يا رزاق يا كريم . تستجلب أم الخير رزقها دون خجل . يبدأ يومها مع نسمات الفجر عادة ماتأتيها الزبائن في مثل هذا الوقت و نادرا ما تأتي خلاف ذلك لا تبدأ أم الخير عملها إلا بعد أن ترد دورها اليومي . و بالرغم من ذلك عشش في ذهنك أنها إمرأة قوادة . تحتفظ بالذكور في دار مجاورة لدارها . هذا الصباح كنت على موعد معها . فلقد قلقت منامك تلك القاهرة بندائتها المتكررة تكيل لها اللعنات ممصمصا شفتيك لا مفر إذا من تلبية النداء تمتطي حمارك الطيب مثلك تعتمد عليه إعتمادا كليا . يعرف وجهتك دون توجيه تقاوم سلطان النوم قدر الإمكان وتترك الباقي على الحمار لكن هذا الصباح مختلف فلابد من تلبية نداء تلك العاهرة . ظلت عينيك مفنجلتان عن آخرهما لم تفلح نسمات الفجر الندية في زغزغة عنيك و لم تنساق هذه المرة وراء حمارك أيضا . لكن الحمار أيضا لم ينساق وراء توجهك له . ظنا منه أنك شبه نائم . وإذ ربنا تكون يدك قد إمتدت على رقبته بالخطأ . تكررت خبطات يدك على رقبة الحمار فأيقن أن هذا الصباح مختلف . انساق الحمار وراء توجهك لكنه غير مقتنع تماما . إذ بطئت حركته وبدأ يتملعن . فتارة شعيرات ذيبه رجليك الرفيعتين و أخرى يلوي فيها رقبته مشمشما في مؤخرة حماره عاهرة كتلك العاهرة التي تسير وراءكما . لم تفلح محاولات حمارك في تغيير وجهتك فرجع إلى نشاطه و حميته في الوقت الذي فجعته فيه بعض أشعة الشمس و أفلتت من جوف السماء . ظهرت الأشياء التي كانت تبدو كأشباح و لاحت من قرب طلمبة المياه . ركنت إلى الطلمبة حتى يشرب الحمار و تشرب تلك العاهرة . تغرف بيدك غرفات متكررة تضعها على مؤخرتها حتى تهدأ و تبرد قليلا .

تنفض يديك بما تبقى فيهما من قطرات في وجه حمارك فينتفض جسده بالكامل . ثم يلوي عنقه يتمسح فيك . كبسه مدربة . توك وصلت أمام دار أم الخير . و ما أن رأتكم حتى أطلقت العنان لفحل من الذكور التي تأويها و أخذت توجهه و تشجعه في الوقت الذي تملك منك الغيظ ممنيا نفسك بمثل تلك اللحظة . قطعت أم الخير شرودك قائلة : ـ مبروك ياطيب جاموستك عشر إن شاء الله

الخطيب

عندما صعد الخطيب إلى المنبر . أرسل نظراته تتفحص العيون . و ظل واقف ا بضع دقائق . سرت همهمات بين الجالسين . حتى من كان يصلي سرح بتفكيره قليلا وضع جالس يده على فمه و هو يهمس لصاحبه " يكونش نسي الخطبة " و تهكم آخر " يمكن مستني على ماالخطبة تخمر في دماغه " فرغ من كان يصلي وجلس الجميع مرت عليهم لحظات صمت . لم يقطعها غير إمتداد يد الخطيب إلى الميكروفون ملقيا السلام . ثم جلس حتى يفرغ المؤذن من النداء الثاني للصلاة . تنقل الخطيب بنظراته على بعض العيون و هو يردد . صلوا أرحامكم و ردوا الحقوق إلى أهلها أفاض الخطيب في خطبته . فترنحت الرقاب و مالت على بعضها و أغمضت العيون القاطعة و الناهبة .

مراهقة

إختلست بعيني ذئب نظرة مسمومة . تراءت أمامي كل تضاريسها المختفية . تحركت داخل رأسي أفكار شيطانية تصول وتجول واحدة تصفني بالضعيف و أخرى بالطيب و هذه بالأحمق و تلك بالعبيط . لن يثنيني أحد عن غرضي هذه المرة إنها فرصته . ربما لن تأتي مرة أخرى لقد أضعت من بين يدي فرص كثيرة . لمن يخدعني مكرها و لن أستجيب لتوسلاتها على الفور أخذت يدي المرتعشة الأمر بالتحرك . لكن مالبثت أن تصل لغرضها حتى جررتها جرا . لأستمع لصوت العقل الذي يصفني بالمراهقة . كيف إذا ينثني لي أن أعبث بتضاريس صورة معلقة على الحائط .

و مَنَحَتْ أغلى ما تملك

هوت من بين يديك خبطة الفأس هزيلة لم تدم حتى قلب الأرض و كأن قلبها قد من صخر . تماما كقلب ذاك الكفيل الذي منحك تأشيرة مغادرة هممت برفع فأسك مرة ثانية و ثالثة فلم تفلح محاولاتك . لم يرق قلب الكفيل لتوسلاتك بأن تظل في العمل و لم يرق قلب الأرض لخبطاتك المتكررة . إستدارت الشمس ناحيتك و كأنما أرادت أن تظهرك عن تلك الرائحة البترولية . أطلقت الشمس زفرة حارة . فزعت لها حبات العرق . فتساقطت أسفل سلسلة ظهرك تخزك وخزات غير بريئة . تناثرات حبات العرق كالؤلؤ على جبينك . افظتها خطوطه المتعرجة فانسحبت متخاذلة تتلمس طريقها عبر نتوءات وجهك .. كانت بالأمس تداعب شاربك الكث أضحت الأن كبثور دميمة على سطح أملس . خال من الروح لم تعد شفتاك تتستسيغ حبات العرق سرعان تبصقها على وجه الأرض فتزيد من عنادها و صلاتها . وقفت برهة متأملا تراقب أسراب الطيور تقترب بعضها على إستحياء يتوسطهم نذير الشوؤم متحينا لحظة سقوطك كي يداري سوءتك . لا لا لن أسقط و لن أبدأ بعد الأن . أنا الكاسي و لست الحافي . أدركت مؤخرا مكمن الخلل . هناك من ينتظر سقوط و ينعق بالخراب . و هنا من يعينك على كبح حروق أرضك أن تعمر و تخضر . أن تستعيد كرامتك المهدرة كان لخلع حذاءك مفعول السحر إقشعر وجه الأرض لملامسة قدميك و إنها بصمة قدميك القديمة تميزها الأرض الطيبة . تفلت في يدك . أطبقت على فاسك بأستماتة . عقصت ذيل جلبابك و شمرت عن ساعديك و انكفأت تمطر وجه الأرض بقبلات فأسك تكحل عيونها بالروث و كعريس ليلة دخلته إحتضنتك

العروس الطيبة بلهفة عاشق وشوق العائد من غربة طويلة مريرة مانحة إياك أغلى ما تملك .

كلمة

(إلى العرافة التى تنبأت بأعظم كلمة فى العالم)

أنتظر مجيئها كل صباح . نقطع الطريق معا إلى حيث عملنا نتفرس في كل الوجوه التي تقابلنا . نركز أكثر على وجوه الجالسين فوق الرصيف نتخطي عم محمد الجالس مع كرسيه المتحرك ما أن يرانا حتى يتهلل وجهه وهو يردد " صباحكم حليب بلون قلبكم " يطبع عم محمد قبلات كثيرة فوق جبين الجنيه الورقي داعيا الله لنا بوفرة الرزق يقع نظرنا على الخالة حليمة و ذاك الولد القابع في حجرها و الذي لا يكبر أبدا تغطينا الكثير حتى وقعت عينانا على إمرأة إفترشت الأرض . يبدو أن هذا اليوم هو أول يوم لها فلم نرها من قبل . مدت المرأة يدها إلينا حاجه لله يابني حاجه لله يابنتي (هي المشرحة ناقصة قتلة) قلتها في نفسي و أنا أعبث بيدي في جيب بنطالي أخرجت جنيها و أعطيته لها . توجهت المرأة بنظرها للسماء وهي تدعو لي " ربنا يابني ما يحرمك من حبيبتك " نزلت الكلمة كالصاعقة على وجه مها زميلتي في العمل نظر كل منا إلى الآخر . أطلنا النظر حركت الكلمة التي نطقتها تلك المرأة كل مابداخلنا من مشاعر مخبأة و على الفور أخرجت مها بضع جنيهات و أعطتهم للمرأة و قبل أن تعطيها مها فرصة للدعاء بادرتها قائلة " كنت فين من زمان "

لماذا أخلفت وعدك ياحامد ؟

لم يستطع أحد أن يثنيني عن قراري ، حاولو سحبي ، مزقوا جلبابي ، ضربني أحدهم على رأسي ، و آخر ورم خدي كي أفيق مما أنا فيه ، لكن دون فائدة ، ظللت متشبثا بالباب الحديدي المغلق على منزل صديقي حامد ، ناديت على حامد بأعلى صوت فلم يلب النداء ، أعلم جيدا أنه بالداخل ، هززت الباب بكلتا يدي ، مؤكدا له أنني لن أبرح المكان حتى أجيب الأستاذ الطيب الساكن معه في نفس المنزل على سؤاله ، إذ ظل الأستاذ الطيب ، مدرس اللغة العربية بمدرسة الإعتدال الأبتدائية ، معلقا بذهني و ذهن صديقي حامد ، بالرغم من أن الإجابة تعيش بيننا ، فكم تصببنا عرقا عندما أوقفنا و طلب مننا أن نضع رمزين في جملة من كلمتين ، و أن نأتي بجملة أخرى من كلمتين أيضا شريطة أن تكون الجملة الثانية مضادة للجملة الأولى ، وقفنا ننظر لبعضنا البعض ، هل تذكر يا حامد ؟ عذرا ، أستاذي الطيب كم كنت متسامحا ، عذرا على تأخري في معرفة الإجابة ، عرفتها عندما رأيت صورة حامد على التلفاز ، رأيته جالسا فوق دبابته ، يزأر بالنشيد الوطني ، يحمل بين يديه طفلا صغيرا يقبله قبلة الأبطال يمتلئ الميدان أمامه بملايين من الرمزين ، كم كنت محظوظا يا حامد ، تمنيت أن تقود دبابة منا ، خالك حسين الذي إستشهد في حرب أكتوبر ، و ها قد تحققت أمنيتك ، رجعت أهز الباب الحديدي بكل قوتي سائلا صديقي حامد ـ لماذا لماذا خالفت وعدك معي يا حامد ؟ ألم تقل لي خمسة و راجع تاني ، لقد قضيت حياتك خمسات يا حامد ، لكن هذه الخمسة ستدوم للأبد ، تنبهت على يدين تربتا على كتفي ثم تقرفصا بجواري ، تنهدت طويلا ، ثم اسندت ظهري للباب الحديدي و تلفت إليهما ، لم أصدق نفسي ، دعكت عيني بظهر يدي ،

، الوضع كما هو ، الإبتسامة لم تخالف وجه الأستاذ الطيب ، عيناه ما زالتا تشعا دفأ و علما ، و صديقي حامد يشير إلى بإصبعه قائلا ـ مش قلت لك خمسة و راجع تاني ، لم أتمالك نفسي من الضحك و البكاء في آن واحد ، و ازدادت وتيرة ضحكي و بكائي ، كلما رأيت علامات التعجب تزداد هي الأخرى على وجه صديقي حامد ، و جدت الإبتسامة ما زالت تملأوجهه تماما ، كما ملأت الإبتسامة وجهي ووجه أهل القرية ، يوم أن رأينا حامد على شاشة التلفاز ، أخذت القنوات تعرض اللقطة التي يظهر فيها حامد و هو جالس على الدبابة ، و بين يديه طفل صغير ، ذهبت مسرعا إلى عمي أحمد والد حامد ، شاهدنا اللقطة أكثر من مرة ، فجأة وقف عمي عمي أحمد مستأذنا لدقائق ، عاد بعدها ساحبا في يده ال جاموسة كي ترى حامد ، لكن اللقطة قد تغيرت بلقطة أخرى ، بها أصوات لغربان تنعق و تحرض على زهق الأرواح بأسم الرب ، سرت الرعشة في جسد الجاموسة ، و نحت بوزها جانبا ، و حينما عادت لقطة حامد ، أخذت الجاموسة تلعق شاشة التلفاز ، و قد تدحرجت من عينيها بعض الدموع ، فمنذ أن ذهب حامد لأداء خدمته العسكرية ، لم تسمح الجاموسة لأحد أن يقترب من ضرعها إلا بعد حيلة ، و أمام تلك المشاعر النبيلة ، إقترحت على عمي أحمد أن نذهب في الصباح إلى الميدان ، أماء عمي أحمد بالموافقة ، ثم ضرب بيده على كتفي قائلا ـ إسمع ياواد يايوسف ، إيه رأيك بعد ما نشوف حامد و نطمن عليه ، نستأذن من القائد بدي حامد كام ساعة كده أجازة ، يدوب يشوف أمه و أخواته ، و يحلب الجاموسة ، و قبل أن يبزغ نور الصباح ، إنتشر الخبر المشئوم ، خيم الحزن على أهل القرية ، وقفنا جميعا ننتظر ، جاءت

جثة حامد ملفوفة بأعظم علم على وجه الأرض ، يتقدمها مجموعة من خير أجناد الأرض ، هل عرفت السبب الأن يا ..... ، نظرت عن يميني و شمالي فلم أجد أحد بجواري ، ضربت الباب الحديدي بقيضة يدي متأذنا من صديقي حامد و أستاذي الطيب ـ خمسة و راجع تاني ، و لكن بشرط واحد ، أن أسكن معكما في نفس القبر

صفعات على وجه الحلم

"إلى التي تمخضت على يديها تلك القصة فخرجت من رحم الحب"

رنات الهاتف قطعت عليه خلوته ، متململا نظر إلى الشاشة الكبيرة الحجم . ظهرت صورتها أمام عينيه ، انتفض محدثا نفسه ، و علامات الذهول تحتل ملامح وجهه " مش ممكن .. مش معقول يااااه يوم ما يتنسيش أبدا " كانت تقف على مقربة منه في الميدان ، تهتف بكل حماس تواجه الضربات باستماتة ، لم تخش الغاز ، نحتضنه بصدر و عينين مفتوحتين تذرف الدمعات من عينيها ، على خديها كحبات اللؤلؤ ، فتزيد من رقتها و أنوثتها ، لم تستطع الصمود كثيرا ، وهنت قواها ، كادت أن تسقط لولا أن تلقفها بين ذراعيه . تنبه أحمد أنه سرح بخياله طويلا و نسي أن يلمس الشاشة كي يأتيه صوت هبة . لمس أحمد الشاشة بمنتهى الحذر حتى لا يحجب بأصبعه ملمحا واحدا من ملامح صورتها الملائكية التي يضعها كخلفية لشاشة هاتفه . لم يرد أحمد بكلمة ألو كما هو المعتاد ولكن جاء رده على غير المعتاد " تصدقي بالله ياهبة .. " وقبل أن تنطق هبة بالشهادة بادرها أحمد قائلا : " و الله العظيم كنتي على بالي " و بصوت مغلف بالحب ردت هبة : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، القلوب عند بعضيها ياحبيبتي " ، أخذت هبة مبادرة الحديث متسائلة " حذر فزر يا احمد .. مين اللي سأل عنك ؟ " أجاب أحمد مؤكدا : " عم محمد بتاع الأعلام " . نفت هبة تلك الإجابة ، يبقى الأستاذ أبو صبا رسام الكاريكاتير و الجيرافيك " . " برضه لأ يا أحمد " و بنبرة حانية قالت هبة : " غلب غلبك يا أحمد " مرت دقيقة صمت ،

إنتفض أحمد بعدها من جلسته إنتفاضة تلميذ إبتدائي متيقن من إجابة السؤال : " مصر ياهبة " ، " أيوة يا أحمد مصر " " كنت متاكد إن مصر مش ح تنساني يا هبة " . " و من إمتى مصر بتنسى ولادها يا أحمد " لم تنتظر هبة رد أحمد و باغتته بنبرة أنثوية عاشقة : " يا سلام ياسي حبيبي .. ما انت كمان ما صدقت مشينا م الميدان و جيت على حبيبتك التانية " رقق أحمد من صوته قليلا " هو في فرق بين مصر و اسكندرية ياهبة " ردت هبة و كأنها إكتشفت إكتشافا رائعا " يااااه ياأحمد .. إسمي له طعم تاني لما تنطقه بقلبك " . " صحيح يا هبة ؟! " . "صحيح يا أحمد " ورجعت هبة تطلق الفوازير مرة أخرى :" حزر فزر يا أحمد أنا بكلمك منين ؟" لم تعطه هبة فرصة للتخمين و بادرته بسؤال آخر : " فاكر كلامك ليا آخر يوم في الميدان ؟ " . " طبعا فاكر ياهبة .. أنا فاكر كلامي كله حرف حرف " . " أنا بقى ياسيدي إقتنعت بكلامك ونفذته فعلا " . رد أحمد بعفوية : " يخرب بيتك يا مجنونة " ثم إستدرك أحمد معتذرا " معلش يا هبة مش قصدي " أكدت هبة على كلامها : " لا يا أحمد صدق هي دي الحقيقة " إنطفأت فجأة الشاشة الكبيرة الحجم . لم يفزع أحمد من فقدانه لصوت هبة ، يدرك تماما ما عليه فعله و كذلك هبة .

تحرك " السوبرجيت " من القاهرة و تحرك معه نبض قلب و عقل هبة ، قلبها هناك في الإسكندرية ينتظرها و عقلها يستنكر ما فعلته . من تتخلى عن ذهب يقدر بعشرات الألآف أكيد مجنونة !! من تتخلى عن فيلا و سيارة أحدث موديل ، طبعا ستين مجنونة !! . إنتهى أحمد من تجهيز كل شئ ، ثم عاد إلى جلسته في تلك البقعة

الساحرة ببير مسعود ، في إنتظار وصول هبة . أزاحت هبة تلك الأشياء التي يصفها العقل بالجنون وراء ظهرها ، ثم تركت لعينيها مساحة من النعاس و الأحلام ، دقائق إنطلقت صافرات الإنذار و ارتسمت فوق الوجوه علامات القلق و الرعب ، دقائق أخرى معدودة ، خرجت بعدها جثة أحمد يحملها الغواصون . تصرخ هبة صرخات مدوية من أعماق حلمها ترج " الأتوبيس " رجا . لم يدر احمد من أين جاء هذا الخبر المشئوم الذي مر أمام شاشة عينيه الحالمتين . حادث مروع " الأتوبيس " على طريق مصر إسكندرية الصحراوي . و تصريح لآحد المسؤلين بأنه قد تم التعرف على جثة أحد الإرهابيين الذين فجروا" الأتوبيس " كما تم التعرف على أسماء الجثث ماعدا جثة واحدة لفتاة لم يتم العثور معها على إثبات شخصيتها ، ووجه المسئول نداءه إلى أهالي الضحايا بأن يتوجهوا إلى المشرحة لإستلام جثث ذويهم . غافل أحمد عامل المشرحة ووضع جثة هبة على تروللي . لم تكن هناك معوقات تعيق الطريق أمام أحمد مطلقا وكأن كل شئ معد من قبل .، كل الأبواب مفتوحة عن آخرها ، المسافات و المساحات تتلاشى . وجد أحمد نفسه أمام مقبرة والدته ، البوابة الحديدية مفتوحة و لوحة من الرخام تعلو المقبرة ، كتب عليها " هنا يرقد جثمان أحمد وهبة " وقبل أن يخضع أحمد لسؤال الملكين ، إنتفض مذعورا على رجوع الروح لهاتفه ، لمس أحمد الشاشة بسرعة البرق ملهوفا ، جاءه صوت هبة : " أحمد علشان خاطري ماتنزلش البحر وبنفس اللهفة أجابها : " و أنتي كمان يا هبة .. علشان خاطري.. علشان خاطري إنزلي من " الأتوبيس فورا " .

الأصابع الممدودة

كم هي جذابة رائحة الشواء ، جعلتني أتسمر مكاني ، أحاول قدر إستطاعتي الترفع عن تلك الرائحة ، لاحظ عامل الشواء نظراتي الزائغة ، فبادرني سائلا ـ حضرتك عايز ربع و لا نص ؟ التزمت الصمت ،أجاب بالنيابة عني زميله في الجهة المقابلة ـ الأستاذ مش تبعك ثم اشار إلى قائلا ـ إتفضل يا أستاذ طلبك جاهز ـ تلتميت رغيف ، عشرين علبة فول ، عشرة جنيه طعمية ، مغصوبا مددت يدي تلقفتني الأفواه الجائعة على بوابة المصنع ، أتأخرت ليه ؟ متنا من الجوع ،جبت مخلل ؟ التزمت الصمت ، إنقضت الأذرع العارية تقضم و تلتهم قهرها الأزلي ، تتقابل الأعين متسائلة في حسرة إلى متى سنظل هكذا ؟ ارتسمت بوضوح فوق وجوهنا علامات القلق و الترقب ، تلعثمت الإجابات فوق شفاهنا ، تركت ضلوعنا أثارها فوق بلاط المصنع ، وقف كل منا حاملا لافتته ، كانت اللافتة الملفتة للنظر ، تلك التي كتب عليها حسن أنه سيتزوج غدا ، اقسم حسن على أن يزف من داخل المصنع ، وسط زملائه ، وقف عطية مطالبا مدير المصنع بالتنحي ، ذكر الجميع بوعوده الكاذبة التي قطعها على نفسه منذ توليه المسئولية ، بدوره وقف المدير يشير بإصبعه إلى الوهم الذي نعيش فيه ، ثم حذرنا من العواقب الوخيمة جراء تلك الحرية الزائفة ، و اختتم المدير حديثه بالتأكيد على أن بعض المصانع قد أغلقت أبوابها و تشرد الألآف من العمال ، مر عشرون يوما و نحن نلتحف السماء ، عشرون يوما من العزلة ، انقضى الشهر الأول و انتصف الثاني و نحن مازلنا معتصمين ، راسخين ، لم تزلزلنا غير رنات الهواتف ، تلح في طلبنا ، تنهال المطالب فوق أعناقنا المغلولة ، فلوس الدروس الخصوصية ، فلوس السوق ، فلوس الجمعية ،

فلوس ، فلوس ، أصبحت الكلمة أثقل من الجبل ، وقفنا جميعا يتأمل بعضنا البعض ، لم يعد أمامنا إلا أن نضم أصابعنا الممدودة و نرفع فقط إصبع الإبهام ، علامة الجودة ، لكن كان لزاما على أولا أن أتخلى عن صمتي ، أن ابتعد عن الحوائط التي مشيت عشرات السنين بداخلها ، و لأول مرة تطأ قدماي مكاتب ، العمل ، التأمينات ، النقابات ، و جميع الأماكن التي كانت محظورة على العمال " نحن لا نطلب المستحيل فقط نريد تطبيق شعار الثورة على أرض الواقع ، صدى كلماتي يجلجل في جنبات مكتب معالي الوزير ، تعد تلك المقابلة من أهم مكاسب الثورة الجديدة " أظن ، بل أنا على قناعة تامة ، أن مثل تلك المقابلة ، لم تجرؤ أن تراودني حتى في أحلامي قبل الثورة ، و عجب العجاب هي تلك الإبتسامة التي ظهرت على ملامح معالي الوزير ، إنقضى الشهر الثاني من الإعتصام ، بدأت العزيمة تفتر ، خوت الجيوب تماما ، لاحت في الأفق تلك الأوراق اللعينة ، تخطف الأنظار و يسيل لها اللعاب ، يحركها مصاصو الدماء لجذب أصحاب النفوس الضعيفة نجح مصاصو الدماء في تشتيت شملنا ، ما بين مؤيد و مغلوب على أمره و بين معارض و متمسك بكرامته ، أصبح رجوع حسن هو الأمل الوحيد للم الشمل ، وقفنا في إستقبال حسن على بوابة المصنع ، و فجأة صرخ عطية صهر حسن قائلا حسن مش جاي ، حسن مش جاي و بصوت متحشرج و عيون مغرورقة بالدموع ـ العربية إتقلبت بحسن و نقلوه مستشفى التأمين الصحي ، هرعنا جميعا ، مؤيد و معارض ، إصطففنا أمام بوابة المستشفى " البقية في حياتكم يا جماعة " فجرها و مضى غير مبال ، دارت وجوهنا نصف دورة ، ظهر من بعيد المدير و مصاصو

الدماء و أصحاب المعالي و المكاتب ماديين أصابعهم عن آخرها ، يشيرون إلينا بإشارات غير بريئة .

من أشعل أعواد الكبريت ؟

و كأنه وجد ضالته ، إذ وقف قبالتنا متسمرا ، يحمل فوق ظهره حقيبة ثقيلة ، أشعر بثقلها من إنحناء ظهره للأمام ، تنضح عيناه بحماس الشباب . إقترب أكثر مدققا النظر، يدور حولنا بنظراته ، ظننت أمي أن هذا الشاب رق لحالنا فبادرته قائلة :" يستر طريقك يابني .. و يوقف لك ولاد الحلال و يطعمك ما يحرمك حاجة لليتامى دول " . أنزل الشاب حقيبته ، فتهللت أسارير أمي و كالت له المزيد من الدعوات ، فتح الشاب حقيبته و أخرج منها فرش و ألوان و ورق ، ثم مد يده في جيب بنطاله مخرجا ورقة مالية عرفت أنها تقدر بالكثير ، حيث تغيرت ملامح أمي و عقدت الدهشة خطوطا على جبينها و أنفرجت شفتاها دون أن تتلفظ بحرف واحد ، أومأت أمي برأسها عدة إيماءات ، أفترش على أثرها ذلك الشاب الأرض ، واضع أمامه ورقة كبيرة الحجم و هو جاثما خلفها على يديه و ركبتيه ، ينظر إلينا كثيرا ، ثم يهيم في ملكوته ، و كالجرو الصغير أرقد بجوار أمي واضعا رأسي على ثديه ، تنهرني أمي بين الحين و الآخر و تزيح رأسي كي ترضع أختي الصغيرة ، و كالمغماطيس تلتقط الصغيرة الحلمة في سعادة بالغة ، أنظر إلى والدتي بعيون دامعة ، فتربت بيدها على كتفي و باليد الأخرى تجذب رأسي ، تتأملها جيدا قائلة :" جاتك نصيبة وأنت عامل زي الكلب الأجرب " . و تسمح أمي للبسمة أن تبلل شقوق شفتيها ، ثم تكمل كلامها :" يا أخواتي هو مفيش ثورة تقوم علشان القمل اللى في شعرك و البراغيت اللى هريانة تقريص دي ". أضحك و أقهقه على ضحكات أمي ، فمنذ أن دست في صدرها تلك الورقة المالية أصبحت أكثر دفئا و حنانا . يشير الشاب إلى أمي فتعدل من جلستها ، ثم تهيم بنظراتها أدرك

مغزى هذه النظرات جيدا . كانت أمي تطيل النظر إلى السماء و كأنها تنتظر شيئا ما ، ترفع يديها إلى السماء بعد سماعها لتواشيح الفجر ، تدعي بدعاء تنفطر له القلوب : " يارب يا أحن من الوالدة على ولدها ، ترزقني برزق الغلابة و اليتامى دول " . و يظل نظرها مثبتا على الناروزة التي تتوسط عرش الدار . و ما أن ترى بربشة عيون حتى تمد يديها بتجذب الطرحة السوداء الملقاة على الأرض كجثة هامدة ، تلفها حول رأسها كالعمامة ، ثم تمرر أصبعها كي تهرش جلدة رأسها عبر المزق الموجود في إيشاربها . تراها أختي الرضيعة فتشابي عليها ، فتحملها أمي ممهدة لها جلسة من لحم و عظم كتفها . لم يتجاوز عمري الرابعة ولكني كنت أعلم تماما ما علي فعله . أحرر الباب من الحمار الخشبي ، أستجمع قواي الصغيرة العنيدة في فتح الباب ، أقف متأهبا ناظرا إلى الشارع الكبير عبر الحارة الضيقة التي نسكن فيها ، و تلك الدور الواطئة المعروشة بالقش و المسكونة بأشخاص كما الجثث الحديثة . تمتد أعواد القش حتى تكاد تملأ فراغ الحارة ، و تمتد المصاطب من روث البهائم على الجانبين ، فبالكاد يتسع المتبقي من الحارة لتمرق بقدميك داعيا الله ألا تنزلق أمام فتحات الزرايب و الدور . و ما أن تقع عيناي على دار الحاج محمد شرف حتى اقف متسمرا مثبتا نظراتي على جدرانها المدهونة بالجير و المرسوم عليها طائرة كبيرة ، كتب أسفل منها : " حج مبرور وذنب مغفور " ، أرفع يدي محلقا في الفضاء ، فيشير إلى الشاب المنهمك في رسم كلماتي ، أمتثل لإشاراته و أخفض يدي ، ولكن تأبى يده تزييف كلماتي ، تبسم الشاب في وجهي مشيرا إلي برفع يدي مرة أخرى ، و لكني أخفض يدي بعد خروج أمي و أنحني

بجذعي قليلا كي أمسك بذيل جلبابها ، و تنهرني أمي بنظرة حادة ، أترك على أثرها ذيل الجلباب و أمسك به بما يوازي قامتي . رائحة الصباح تجعل جسدي يرتعش وقطرات الندى تبلل جلبابي المتهرئ ، تقعدني أمي و تقعد بجواري تلقم الصغيرة ثديها . ثم تضع أختي بجواري بعد أن غطت في نوم عميق . تحذرني أمي من عدم ترك أختي الصغيرة و حدها ، حتى لا تنهشها الكلاب الضالة . تقطع أمي أرض الحاج محمد شرف ذهابا و إيابا ، تحمل على رأسها حزمة كبيرة من أعواد القمح ، تجمعها في مكان واحد . أصبحت كومة القمح كبيرة جدا ، توارت أمي خلفها ، أترك أختي الرضيعة و أدور حول كومة القمح بحثا عن أمي ، فلا أرى سوى أربعة أقدام عارية ، و مؤخرة ذات شعر كثيف تهبط وترتفع . لم يستطع الشاب الممسك بفرشاته وألوانه أن يحرك الصورة ، و لم يدم الهبوط و الإرتفاع ، فبعد أن إنتهى الشيخ صالح من تواشيح الفجر و الآذان ، إنطلق صوته المنغم بجملته التي ألفناها عند المصائب :" يا من يريد الأجر و الثواب و المغفرة ، انتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة " . كان هذا الصباح نقطة تحول لمصائر الكثيرين من أمثالنا ، إستعان أولاد المرحوم الحاج محمد شرف بالميكنة الحديثة ، فالأرض تزرع وتحصد (بالريموت كونترول) و باتت كطفل يتيم . و ها نحن نجلس الأن على أعتاب الميدان . توقف الشاب الممسك بفرشاته و ألوانه عن الرسم ثم بدأ يلملم أدواته . لم تنته الصورة بعد ، فهناك صورة أخرى يجب عليه أن يرسم ملامحها و هناك حناجر تهتف بعلو صوتها تنادي بالعيش و الحرية و العدالة ، و هناك أعواد كبريت تشتعل و تنطفئ .

عم سيد

بمجرد أن مزق النور جلباب الظلام ، و التكاتك لم تتوان عن اللف و الدوران ، تحمل التكاتك فوق ظهورها مكبرات الصوت ، تعلن عن وفاة طلعت الأنور ، مد عم سيد سبابته عابثا في أذنه ، ثم فرك وجهه بكلتى يديه كي يؤكد لنفسه أن ما سمعه حقيقة وليس خيالا ، ردد عم سيد دعاءه المعتاد ، الدوام و البقاء لله السلام عليكم ديار قوم مؤمنين ، أنتم السابقون و نحن اللاحقون ، يردد عم سيد هذا الدعاء كلما تقلب في رقدته ، أو حاول القيام لقضاء حاجة ، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل أصبح عم سيد يردد هذا الدعاء بألية منتظمة ، هذا الصباح مختلف تماما عن صباحات عم سيد الأخرى فما أن فتح عم سيد عينيه ، حتى طالعته تلك اللوحة الرخامية المحفور بداخلها جملة ، مدافن عائلة الأنور ، يثبت عم سيد عينيه على تلك اللوحة ، ثم يتلفظ لسانه بطلب الرحمة و المغفرة لعائلة الأنور جميعا ، و لا يشيح بنظره عنها ، إلا بعد أن يشعر بشعور من ذاق مرارة اليتم و الحرمان ، تدب الأرجل ذهابا و إيابا ، يلقون بالتحية على عم سيد ، يرد عليهم بفتور ، و ما يراني من بعيد ، حتى يتهلل وجهه ، يرفع يديه المفلطحتين في الهواء ، كطفل صغير يشابي على أمه ، في المقابل أجدني لا أملك غير مبادلة عم سيد حبا بحب ، أقترب من عم سيد ، ألقي عليه التحية ، أطبع قبلة على جبينه ، يتعلق عم سيد برقبتي ، يضغط عليها بشدة ، يقبلني في كل مكان يطاله فمه ، أضع يدي تحت إبطي عم سيد ، أحمله بصعوبة من فوق المصطبة الملصقة بمدافن عائلة الأنور ، يمطرني بسيل من الدعاء ، و يمطر من كان السبب في بتر قدميه ، بسيل من الدعاء عليه ، أضع عم سيد على كرسيه المتحرك ، و بآلية يضع عم سيد يديه على

عجلة الكرسي ، يلفهما للوراء قليلا يساعدني في فك وثاق نصبة الشاي ، دقائق قليلة تدب الروح في المكان ، أحمل بين يدي كوبا من الشاي ، أضعه أمام عم أحمد ، الواقف على عربة الفول ، أعود حاملا صينية الفطار ، و كالمعتاد ، يرفع عم سيد يديه للسماء ، داعيا ـ إلهي يعمر بيتك ياحسين يابني ، إلهي ما تتجوز أرملة شيخ ، ولا تشتري عربية شيخ ، أضحك بملء فمي ، عندما أجد علامات التعجب على وجوه المارة ، و عندما يستفسر أحدهم عن الحكمة من هذه الدعوة ، يتهرب عم سيد بقوله ـ إسألوا حسين ، يمسك عم سيد برغيف الخبز ، ينظر إليه نظرات الحسرة ثم يقطع نصف الرغيف ، يلوكه في طبق الفول ، ثم يقذفه في فمه مرة واحدة ، و كالباحث عن شئ ما يدور عم سيد بعينيه دورة كاملة ، ثم يسألني بصوته العرساوي ، أمك ما جتش لحد دلوقتي ليه يا حسين ؟ و بمجرد أن انتهي عم سيد من سؤاله ، حتى وجد ظلا كظل ديناصور ، حجب عنه ضوء الشمس قال عم سيد دون أن يلتفت ـ يا نهار أسود ، أمنا الغولة جت ، خبطت أمي بشدة على كتف عم سيد قائلة ـ أنا أمك الغولة يا فيل و ناقص له زلومه ، ارتسمت هنا ضحكة ساخرة ، ووجه عم سيد كلامه لأمي ـ ياوليه أنت مش عارفة إن فيه واحد من عيلة الأنور مات النهارده ، و ما أن سمعت أمي هذا الكلام ، حتى مدت يدها ، ساحبة آخر رغيف ، لاكته في طبق الفول ، ثم توجهت إلى نصبة الشاي ،ربطت نصف وجهها بمنديل أسود وارتدت جلبابا مرقعا ، ثم جلست على مصطبة عم سيد و هي مادة يدها ، هم عم سيد أن يلحق بها ،لولا أن تشمم رائحة البرفان ، الذي تضعه الخادمة الأجنبية للشيخ منيع ، الذي يسكن البرج المقابل للمدافن ، جحظت

عينا عم سيد ، و تسمر في مكانه ، اقتربت الخادمة من عم سيد ، وضعت مؤخرتها على الكرسي المتحرك ، و بحروف عربية مغنجة قالت ـ إدعي لي دعوة عم الشيخ سيد ، و على الفور رفع عم سيد يديه للسماء ، داعيا ـ روحي يا شيخة إلهي ما توعي تقومي ، إمتلأت المدافن بأفراد عائلة الأنور يشيعون طلعت لمثواه الأخير ، تراص العراة و الشحاذون خارج المدافن ، و ظهر الشيخ منيع مخرجا لسانه من خلف نافذته ، عاقدا يديه خلف ظهره ، التي مازالت ملطخة بدماء الأنور الكبير ، و بعد إنتهاء مراسم الدفن ، جلست و أمي و عم سيد نحصي حصيلة اليوم ، و ما هي إلا دقائق معدودة ، حتى نعقت الغربان حولنا تريد أن تستولى على الحصيلة ، أطلقت و أمي العنان لساقينا ، تلفت حولي أبحث عن عم سيد وجدته يسبقني بمئات الأمتار .

السيرة الذاتية

*عبد المنعم محمد عبد العزيز شرف الدين

*الاسم الادبى : عبد المنعم شرف

*مواليد قرية كفر حسين / مركز زفتي / محافظة الغربية

*يعمل ويقيم بمدينة العاشر من رمضان

ترأس مجلس إدارة نادى أدب قصر ثقافة العاشر من رمضان فى الفترة من ٢٠١٤ ــ ٢٠١٥

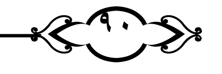
الأمين العام لمؤتمر اقليم شرق الدلتا الثقافى بعنوان

(أدب الثورة بين الإنتصار والإنكسار) ٢٠١٤

العضويات

عضو اتحاد كتاب مصر

عضو عامل بنادى ادب قصر ثقافة العاشر من رمضان



عضو رابطة الزجالين وكتاب الأغانى

عضو جماعة (واحد) الثقافية

هاتف : ٠١٠٩١٧٢٣٥٠٣

صدر له

احلام بسيطة (ديوان شعر للاطفال عام ٢٠١٠)
نداء سرى (مجموعة قصصية عام ٢٠١٠)
ضحايا واضاحِ(مجموعة قصصية عن الهيئة العامة لقصور الثقافة .. أقليم شرق الدلتا الثقافى عام ٢٠١٣)
زال الهم (مجموعة قصصية عام ٢٠١٥)

الجوائز

جائزة الهيئة العامة لقصور الثقافه دورة الاديب خيرى شلبى عام ٢٠١٢ فرع ادب الطفل عن المجموعة القصصية (مملكة الديكة الذهبية)

جائزة مسابقة الاديب صلاح هلال عام ٢٠١٣ عن قصة (لحظة سقوط)

حائز على لقب (أديب النيل والفرات) بحصولة على المركز الأول *فرع القصة والرواية ٢٠١٧

تكريمات

تم تكريمه فى المؤتمر الاول للراحل د.يوسف إدريس بعنوان (يوسف إدريس امير القصة العربية) عام ٢٠١٣

تم تكريمه فى مؤتمر اقليم شرق الدلتا الثقافى الذى اقيم بقصر ثقافة مدينة العاشر من رمضان ٢٠١٤

نشرت قصصه القصيرة فى العديد من الجرائد والمجلات

محتوى الكتاب



